أنواع الشخصية في روايتي "اكتشفت زوجي في الأتوبيس، واغتصاب ولكن تحت سقف واحد" للكاتبة دعاء عبد الرحمن

الباحثة/ حسناء عبد الهادي جمعة سلامة

الملخص باللغة العربية:

جاء البحث بعنوان (أنواع الشخصية في روايتي "اكتشفت زوجي في الأتوبيس، اغتصاب ولكن تحت سقف واحد") ثم يأتي بعد العنوان مقدمة، وتمهيد، ثم تناولت المبحث الأول بعنوان (الشخصية الرئيسة وسماتها) وأعقبته بالمبحث الثاني (الشخصية الثانوية وسماتها)، واستعرضت في هذا البحث أنواع الشخصية في روايتي "اكتشفت زوجي في الأتوبيس، واغتصاب ولكن تحت سقف واحد" تعد الشخصيات الرئيسة في هذه الروايات ذات طابع نامٍ مشترك، إذ يقوم على عاتقها الرواية وتصنع الحدث؛ لكن ليس بمفردها وإنما تشترك مع شخصيات أخرى ثانوية والوجود الطاغي يكون لكل الشخصيات التي تصنع ذلك فبالتالي يكون للشخصية الرئيسة فهي التي تحرك الحدث وتصعد به، فمثلًا شخصية "منى" في رواية "اكتشفت زوجي في الأتوبيس" هي التي تقوم بدور تقديم الرواية/الراوي، وهي على دراية فعلية بكل الأحداث تُعدُّ الشخصية الأكثر حضورًا داخل الرواية والأكثر دراية، وهي شخصية تصاعدية دينامية، وكانت من ذي قبل شخصية ثابتة جامدة، فالتغير الذي حدث كان بفعل صداقتها –التي جددت دماءها– ب"سماح"، ومن ناحية الفاعلية داخل الرواية، فبطبيعة الحال تقل فاعلية الشخصية الثانوية عن الشخصية الرئيسة، ولكن الذي يميزها أنها تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسة وتعمل على تلميعها وإظهارها، فسماح في نفس الرواية السابقة هى التي مهدت لظهور منى أو لوضوح شخصية منى داخل الرواية، أي كانت بمثابة الخادم الذي يسعى إلى تلميع سيده في المحافل، وإذا أمعنا النظر في هذا الكلام فإننا لا نستطيع أن نقلل أبدًا من الشخصية الثانوية، فالعلاقة بينهما تبادلية ونفعية، فمثلًا حيز الشخصية الرئيسة داخل الرواية يتمتع بالمرونة كتمتع صاحبه، فيقبل السعة والقلة، على نقيض الشخصية الثانوية التي لها حيز معين داخل الرواية لا تتخطاه، ويأتي بعد ذلك ملخص باللغة العربية، وملخص بالإنجليزية ثم خاتمة، وتأتي قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

Summary in English:

The research entitled "Types of personality in my novel" I discovered my husband on the bus, rape but under one roof "came after the title an introduction, a preface. Then I dealt with the first topic entitled" The main character and her attributes "and was followed by the second topic (secondary character and her attributes) where in this research I review the types of personality in my novel" I discovered -my husband on the bus, rape but under one roof "These novels are a common growing character, as they assume the novel and make the event; But not alone, but in common with other characters, the dominant presence is for all the characters who make it, so the main character is the one who drives and elevates the action. In terms of potency, the secondary character is less effective than the main character. What is more, however, is that it illuminates the hidden aspects of the main character, and that if we look at these words, the secondary character can never be underestimated, the relationship between them is reciprocal and utilitary, for example, the main character's space within a novel is elastic As enjoyed by its owner, it accepts the capacity and the few, unlike the secondary character who has a certain space within the novel that does not exceed it, the space here is meant for the paper place within the novel, and then comes a summary in Arabic, a summary in English and then a conclusion, and comes a list of names of sources and references.

مقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وتمسك بشريعته إلى يوم الدين،

أما بعد...!

إن هوية أي شخصية –داخل العمل الروائي وخارجه– تتمثل في أيديولوجيته، ونفسيته، وأخلاقيته، وجسده؛ لذا فيتوجب على الروائي أن يخلق شخوص روايته وفقًا للمعايير السابقة فمن المهم أن يضع الشخص المناسب في المكان المناسب ولا غير ذلك حتى يصل بروايته إلى عقلية القارئ المتيقظ.. وكما الحال في الحياة يوجد شخصيات لها أدوار أكثر من أخرى وهذا أمر مقبول في الحياة فما بال الرواية، فإذا استطاع أن يجعل القارئ مشاركًا معه في الرواية فبذلك يكون القارئ أكثر فاعلية، وتكون الشخصية شخصية حيوية متحركة وهذا أقصى ما يتمناه الروائي.

تلك الشخصيات التي يرسمها/يخلقها الروائي تحتاج إلى أنماط وسمات مختلفة لكل شخصية؛ وتلك الأنماط هي التي تبعث الاختلاف داخل الرواية وتعزز تعددية الأفكار والآراء، وعلى هذا السبيل نجد ذلك التفاوت والاختلاف مسيطرًا على روايات دعاء عبد الرحمن، وهذه الشخصيات لها الدور الرئيس في تسيير أحداث الرواية إلى الأمام، فنجد بالطبع "شخصيات سلبية، وشخصيات إيجابية، وشخصيات تدعو إلى الخير، وشخصيات على النقيض، وشخصيات رئيسة وأخرى ثانوية".

التمهيد:

الشخصية هي بؤرة الرواية ومركزها فلا سرد ولا أحداث بلا شخصية؛ نستطيع أن نقول الشخصية هي روح الرواية، ولا نكون قد أنصفناها..ونظرا لهذه الأهمية تسعى هذه الدراسة إلى رصد الشخصيات في روايات دعاء عبد الرحمن، وبيان أنواعها رغبة في إبراز هذه الأنواع وبيان كيفية توظيف الروائية لها داخل رواياتها، وأثر هذا التنويع على بنية الرواية وتطور أحداثها. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تقترح الباحثة هيكلا لهذه الدراسة على النحو الآتي:

أ ــ مقدمة.

ب ــ تمهيد.

ج ــ المبحث الأول: الشخصية الرئيسة وسماتها.

د ــ المبحث الثاني: الشخصية الثانوية وسماتها.

ه ــ الخاتمة.

و ــ الملخص بالعربية.

ز ــ الملخص بالإنجليزية.

ح ــ قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الشخصية الرئيسة:

إن حياتنا التي لا نستطيع أن نعود بها إلى الخلف، إنما هي الحياة الواقعية التي لا استرجاع فيها ولا استباق، ولكن جعلتنا الرواية نفعل ذلك دون أي معاناة، وجعلتنا نرسم أنماط حياة أشخاص لا يوجد محرك لهم سوى الروائي بناءً على أدوار تفاعلية يُنَصّب شخصيات تقوم بها، فالشخصيات التي تبث الروح داخل الرواية ولا شك في ذلك.

ولعل أبرز ما يميز الشخصية أنها هي المحركة للحدث داخل الرواية، وعليه فإن الشخصية الرئيسة "هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائمًا، ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية"[1] فالشخصية الرئيسة في تلك الحالة تكون هي المسيّرة للحدث، ولها السبق في تحويل صيرورة (هبوط وصعود السرد) وتكملته والحفاظ عليه؛ لذلك هي الشخصية المحورية، التي يدور حولها السرد الروائي.

ومَحْوَرة الشخصية أو عدمها تكمن في العمل الذي تتقلده داخل الرواية، والوضع الذي ترتضيه لنفسها، أو حتى مدى اقناعها في تمثلها وهيئتها تلك، فإن نجحت فقد كسبت قارئًا، ومَنْزِلَةً، وكاتبًا، فتبعث الاستمتاع، والاستمرارية، وشَغْل المكان وهي "الشخصيات التي تخضع لها الحبكة وهي خاصة بالسرد السيكولوجي حيث تكون غاية الحلقات الأساسية في السرد هي إبراز خصائص الشخصية"[2]، إن الشخصيات الرئيسية هي شخصيات مسيطرة وتظهر بصورة الإفراد المهيمن رغم أن سلوكها قد لا يتسم بالسلوك البطولي، وأيًا كانت الأحداث والتصرفات الصادرة عنها فإن الباعث ينير معالم الشخصية.[3]

كما تعد أكثر الشخصيات الرئيسة في روايات دعاء عبد الرحمن ذات طابع "نامٍ مشترك"، إذ أنها تقوم على عاتقها الرواية وتصنع الحدث؛ لكن ليس بمفردها وإنمَّا تشترك في البطولة مع شخصية/شخصيات أخرى، والوجود الطاغي يكون لكل الشخصيات التي تصنع ذلك، وهذا ما نتعرف عليه فيما هو قادم.. أما الشخصية الرئيسة المسطحة تكاد تكون منعدمة داخل الروايات، سواء أكانت مسطحة مشتركة أم مسطحة مطلقة.

١- صبحية عودة زعرب: غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي،ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ٢٠٠٦، ص١٣١، ١٣٢.

٢- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط١، المركز الثقافي العربي ١٩٩٠، ص٢١٦.

٣- أنريكي أندرسون: القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة علي إبراهيم علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠، ص٢٣٩، ٢٤٠.

ومما سبق نستطيع أن نستنتج أن الشخصية الرئيسة هي صاحبة الوجود الطاغي، أي يكمن فهمنا للرواية في فهمنا لتلك الشخصية وبواعثها وطرق تفكيرها، فذلك سيساعدنا حتى على قراءة متغيرات وتقلبات الرواية، وتخمين أحداثها المستقبلية، فمضمون العمل الروائي يكمن – بطبيعة الحال– في فهم الشخصية الرئيسة، فـ "منى" مثلًا في رواية "**اكتشفت زوجي في الأتوبيس**" هي التي تقوم بدور تقديم الرواية/ الراوي، وهي على دراية فعلية بكل الأحداث، واستطعنا من خلال تقديم نفسها أن نتحقق أنها شخصية "تنتمي لأسرة متوسطة، محجبة، أصغر أخوتها، شخصية مهزوزة، شخصية انقيادية".

كل تلك الصفات تجتمع بلا أدنى شك في شخصية واحدة وهي "منى"، تلك التي نفهم الرواية من منظورها، وتُعدُّ هي الشخصية الأكثر حضورًا داخل الرواية والأكثر دراية، وهي شخصية تصاعدية دينامية، وكانت من ذي قبل شخصية ثابتة جامدة، فالتغير الذي حدث كان بفعل صداقتها – التي جددت دماءها– ب"سماح"، فكانت كما وصفت نفسها "زي إللي كان في جرة وطلع برة"، بالفعل استطاعت سماح تشكيل تلك العجينة "منى" على حسب رغباتها والثانية لا تملك سوى الانقياد كعادتها.

هنا قدمت الشخصية نفسها على لسان الراوي، فهي الشخصية والراوي في آنٍ واحد، بدأت بعرض الصفات الخارجية أو المظهر الخارجي لها؛ فوصفت هيئتها التي يراها الناس عليها وبعد ذلك اتجهت إلى صفاتها النفسية فهي مهزوزة، غاضبة، كاذبة.

كل الطرق التي تُقدم بها "منى" نفسها إنما هي طرق مباشرة لا يجد القارئ فيها أي صعوبة في وصف مثل هذه الشخصية، التي تُعدُّ الصراحة من سمات تقديمها لنفسها؛ حيثُ اعترفت أن أخاها يراقبها منذ ثلاث سنوات وهي تعلم ذلك وتتركه، واعترفت أنها تكذب على والدتها ومسوغها الوحيد في ذلك الذكاء والفطنة:

"أتذكر خفقان قلبي للمرة الأولى وأنا أخطو بداخل أحد دور السينما وأنظر حولي كالبلهاء وكأنها كوكب مختلف عن كوكبي.

بعد عدة أشهر أصبحت تلك الأماكن معتادة لدي وأصبح الكذب على والدتي اسمه ذكاء وفطنة وتحرر من القيود وبالطبع كان من النادر تواجدنا في مدرج الكلية، ورغم كل ذلك فكل ما فات كان أبسط بكثير مما هو آت".[1]

١– دعاء عبد الرحمن: رواية اكتشفت زوجي في الأتوبيس، الناشر: عصير الكتب، ٢٠١١م، ص٢.

إن نموذج المرأة الذي يتمثل في شخصية "منى" هو نموذج المرأة التي قد تذوب بكلمات الحب والرومانسية، وقد تنساق دون أدنى تفكير إلى ما وراء الحب من تراهات، ويمثل المرأة الصالح أيضًا "حياء" أما على النقيض فهي "سماح"، وقد تأثرت بكلتيهما، واستطاعت الروائية أن ترسم لنا الحياة الاجتماعية لمنى ومدى تأثرها بصديقاتها، وطريقة انقيادها العجيبة لهُنَّ دون أدنى تفكير، واستطاعت أن ترسم لنا مدى المعاناة التي استنفذت قواها بصحبتها لسماح، ومدى تأثرها بطريقة أخيها طارق في التعامل معها، وطريقة إغلاقه عليها، وكيفية التخلص من كل تلك القيود، إلا أن تلك القيود لم تستطع الوصول بمنى إلى مرحلة الكراهية "كراهية المجتمع"، فلقد مُورست عليها الضغوطات بطريقة أو بأخرى وبأشخاص مختلفين ولكن ظلت ثابتة لم تترنح إلى قبل دخول حياء في حياتها، وهنا تظهر لنا الروائية الفروق الواضحة بين الصحبة الصالحة والطالحة، وكيفية إزالة الغشاوة من على أعين القامعين خلف محبة الصداقة بكل متطلباتها، إلى أن عوضها الله خيرًا بزواجها بأدهم ووجدت فيه الزوج المتكامل أو الذي يسعى إلى الكمال معها.

تلك التغيرات الاجتماعية والنفسية التي حدثت لمنى أثرت على الرواية بأكملها وهو الذي دفعنا لتصنيف منى "شخصية رئيسة"، كل حدث يحدث لمنى يؤثر في الرواية، وكل حدث تحدثه منى بالطبع سيؤثر أيضًا فيها.

وفي المقابل نجد شخصية تشبه شخصية "منى"، وهي شخصية "مريم" في رواية "**اغتصاب ولكن تحت سقف واحد**"، فمريم هي الشخصية الرئيسة مع يوسف، وفي حقيقة الأمر أن هذه الرواية تعج بالشخصيات الرئيسة، أي أن الشخصيات هنا شخصيات نامية مشتركة، وهذا لا يقلل أبدًا من الرواية، بل يحيلنا أن تلك الرواية تحوي بين مطوياتها تفاصيل جَمّة، ومحتويات ليست بالقليلة وهي كذلك، فمثلًا: "إيهاب ومريم وعبد الرحمن وإيمان ويوسف ووليد وحسين" كل تلك الشخصيات تصلح أن تتناول رواية بمفردها، ولكن دمجهم في رواية واحدة جعلها تشتمل على كم من التفاصيل يخرج بها إلى مرحلة الإبداع؛ لكن ما يكفينا أنموذجان في تلك الحالة هي شخصية "مريم" و"يوسف".

لماذا شخصية مريم؟

لأن شخصية مريم طرأت عليها تحولات نفسية واجتماعية وفسيولوجية جعلتها هي المتحكمة في زمام الرواية، وبمعنى أصح كل حدث تغير مساره لابد ليوسف أو مريم يد فيه، فهما اليدان الطائلتان اللتان لهما خُلقت الرواية وبهما خرجت إلى ضوئها.

مريم تلك الشخصية الهشّة أو التي أصبحت هشة، هي في حقيقة الأمر شخصية قوية، ولكنها تعاني من سوء الاختيار في كل شيء: اختيار الأصدقاء، واختيار التوقيت، فيدفعها الأول إلى الهاوية والتنازل، والثاني إلى الشك والضرب في سمعتها، ولكن بالوشاية "وشاية وليد" تَمَلَّكَ يوسف من صيدها واستطاع بالفعل أن يغتصبها وهي في بيته، ومن الأرجح أن يكون مسمى الرواية اعتمادًا على هذه الحادثة:

نزلت صفعة مدوية على وجه يوسف جعلته يرتطم بالجدار بقوة، لم يكن يشعر يوسف بقوة الصفعة بقدر ما كان يشعر بالتجمد والذهول وهو يقف بصعوبة وينظر إلى أبيه الذي كان يلف عباءته حول جسد مريم العارى وهى متشبثة به بقوة وتبكى وتتأوه بألم صارخ.[١]

فمريم قبل ذلك الموقف هي مريم مغايرة تمامًا لما بعد هذه الحادثة، فمثلًا من الناحية الاجتماعية لم تجد مريم مهربًا من ملاحقة ظنون وليد بالذي فعلته مع يوسف، ونريد التذكير هنا أن من قام بإيقاع مريم في أحضان يوسف هو وليد، أما من الناحية النفسية فهي ظلت منطوية وكان أثر تخييم الحزن عليها واضحًا، أما من الجانب الفسيولوجي فجسدها قد أصابه النحل والوجوم وأصاب وجهها الشحوب وظل البكاء هو الملازم الأول لها، حتى بعد إعلان عمها حسين أنها ستتزوج بيوسف ظلت هي في حزنها، فليس كل مكسور نستطيع اصلاحه.

وبرغم ما طرأ عليها وعلى شخصيتها فمريم لم تكن أبدًا شخصية دينامية، فهي على كل حال شخصيتها واحدة لم تتشكل على حسب الاحداث، بل هي التي كانت تشكل الحدث ولا يعتريها تغيير، وأغلب ما تمتعت به شخصية مريم هي مظلوميتها في الأحكام سواء من وليد أو في أغلب الأحايين من يوسف، هي أحبت يوسف وتوسمت فيه الحنان وحنينها المفقودين، ولكن سرعان ما أخزاها وخذلها بموقفه المخزي.

ولمريم نصيب من اسمها فمثلما تعرضت السيدة العذراء للظلم والأحكام الظالمة من أهلها بعدما وضعت السيد المسيح لم يكن الأمر بعيدًا عن مريم تلك أن تتعرض هي الأخرى للظلم والحكم الجائر من قِبل وليد أو يوسف، ولكن هيهات للقلوب النظيفة أن تدنس بوشاية.

مرت مريم بصعوبات قبل أن تنغمس في متعة التدين، وهذا يعد أكبر تحول في حياتها، هذا الاغتصاب المزعوم الذي حاولت مريم أنْ "تُرَبّي" به يوسف على حد قولها؛

١- دعاء عبد الرحمن: رواية اغتصاب ولكن تحت سقف واحد، الناشر: عصير الكتب، ٢٠١٤م، ص٢٠١.

فهو لم يفعل بها أي شيء ولكن حاولت أن تعيد إليه (يوسف) الإنسان الجميل العفيف الذي يخاف على عرضه ويغار عليه، وتعود مريم إلى بتوليتها وعفتها أيضًا.

أما "يوسف" هذا الشخص الذي نحكتم في رؤية شخصيته إلى نظرتين: الأولى: منظور مريم الذي رأته الشخص المتعجرف والمتهور، والذي أرادت كسره ليرجع عن تعجرفه المؤذي –بالنسبة لها.

والأخرى: منظور الأب والعمل، هو شخص ناجح بكل المقاييس، ولا ينشغل بالأمور الصبيانية.

وإذا أخذنا الاستشهاد السابق نفسه على شخصية "مريم" وأردنا تطبيقه على شخصية يوسف، نجد أن يوسف قد تأثر بالحدث، وأثر فيه، وكان جزءًا، وجزئية يوسف ومشاركته في الحدث جعلته ينطوي على نفسه، ويصنع لنفسه نمطًا حركيًّا نستطيع من خلال المشهد الذي لُطم فيه من أبيه، جعلنا كأننا نراه متجسدًا أمامنا، واستطاع من خلال طغيانه على ذلك المشهد أن يستعطف القلوب، وأدخلنا في حوارية الظالم والمظلوم.

يوسف الشخص الحنون، المتهور، العصبي، المتعجرف، العاطفي، استطاع كما نرى أن يجمع الشيء ونقيضه في آنٍ واحد، وقد حدث:

_ بس حلو الجو ده.. قهوة مظبوط وفطار وحركات

زفر يوسف وقال بضيق:

_ أنا مش فاضي للكلام ده يا وليد.. وانت عارف اني مش بتاع الحاجات دي

قال وليد بمكر:

_ أنت مش بتاع الحاجات دي.. لكن هي بتاعتها.. وحطاك في دماغها ولا أنت دخلت عليك الأفلام دي

وضع يوسف الأوراق التي كانت بيده على المكتب بانفعال وقال:

_ عيب كده يا وليد.. دي برضه بنت عمنا

قال وليد ساخرًا:

_ ونسيت صاحبتها، ونسيت الفيلم اللي اتعمل في المركب.. ونسيت رأيك فيهم

هتف يوسف بعصبية:

لا منستش ومش هنسى.. بس انت كمان متنساش أنها بنت عمنا يعني سمعتها من سمعتنا وقفل بقى على السيرة دي فورت دمي يا أخي[1]

١- دعاء عبد الرحمن: رواية اغتصاب ولكن تحت سقف واحد، ص٦٨.

فيوسف استقبل صباح "مريم" بفتور واضح، ومن ثَمّ استطاع أن يتحكم في فتوره، وارتسمت الابتسامة على وجهه، وبعد ذلك تحولت الابتسامة إلى عصبية على وليد، وأخيرًا اتضحت العاطفة تجاه "مريم" والخوف عليها حتى من الكلام الذي سمعه من وليد، فصنع يوسف الحدث بتعابيره، وكلامه، وخطفه ضوء المشهد الذي تحولت فيه شخصيته أكثر من مرة في لحظة واحدة.

المبحث الثاني: الشخصية الثانوية:

إن الشخصية الروائية والقصصية هي مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة.

ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما، وإلا كانت مجرد دعاية، وفقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معًا.[1] وانطلاقًا من هذا الكلام نجعل العالم الافتراضي الذي رسمه الروائي يعيش بشكل موازٍ للعالم الحقيقي الملهم للروائي.

وعليه، إذا تمكن الشخص من النظر إلى الشخصية الروائية بحسب أهميتها ووظيفتها داخل الرواية فإنه سيلحظ إما شخصية رئيسة تعتمد على إشغال الحيز الأكبر للعمل وديناميةٍ أعلى من غيرها، ومرونة تساعد الشخصية على الصعود بالحدث، وإما ثانوية قد تأخذ بعض هذه الوظائف، لكن الصعود بالحدث يكون مهمة ووظيفة الشخصية الرئيسة فقط، فالأولى تأخذ وظيفة كاملة أما الثانية تكتفي بالوظيفة المرحلية التي ستنتهي قريبًا؛ لأنها غير مرنة بالطريقة التي تجعلها تواكب الوظائف، بل وتصنعها في كثير من الأحايين.

أما من ناحية الفاعلية داخل الرواية فَبطبيعة الحال تقل فاعليتها عن الشخصية الرئيسة، ولكن الذي يميزها أنها تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسة وتعمل على تلميعها وإظهارها، وإذا أمعنا النظر في هذا الكلام فإننا لا نستطيع أن نقلل أبدًا من الشخصية الثانوية، فالعلاقة بينهما تبادلية ونفعية، أما من ناحية الحيز الذي يشغله كل من الشخصية الرئيسة والثانوية فمختلف باختلاف طبيعة الوظائف التي يشغلها كل منهما، فمثلًا حيز الشخصية الرئيسة داخل الرواية يتمتع بالمرونة كتمتع صاحبه، فيقبل السعة والقِلة، على نقيض الشخصية الثانوية التي لها حيز معين داخل الرواية لا تتخطاه،

١- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م، ص٥٢٦.

والحيز هنا نقصد به المكان الورقي داخل الرواية.. "فحيزية الرواية لغوية؛ بينما الحيزيات الأخرى تقوم إما على استعمال الألوان والأصباغ، وإما على اصطناع الخطوط والمساحات والأشكال".[1]

أما من ناحية السمات فالشخصية الثانوية تنقسم إلى عدة تقسيمات وعلى غرار سابقتها؛ فيوجد الشخصية الثانوية النامية وهي الشخصية التي تؤثر في الحدث وتتأثَّر به، وهي صاحبة الوجود الطاغي والأكثر حضورًا في الروايات، والشخصية الثانوية المسطحة وهي الشخصية التي لا تتطور مع الحدث ولا تحاول الاشتراك معه إلا في صورة واحدة وهي إثبات الحضور فقط، وهي صاحبة الكلمة الدنيا في الروايات.

فمثلًا "سماح" التي تشاطر وترافق "منى" في رواية "**اكتشفت زوجي في الأتوبيس**"، هي شخصية موضوعة ومرسومة على حيز بياني متأرجح، بمعنى أنها تصل إلى ذروة الحضور مع منى في بداية الرواية ثم يقل الحدث نوعًا ما وليس بشكل تدريجي، إلى أن ينعدم وجودها بالكلية، ويأتي حضورها موضحًا كالرسم البياني التالي:

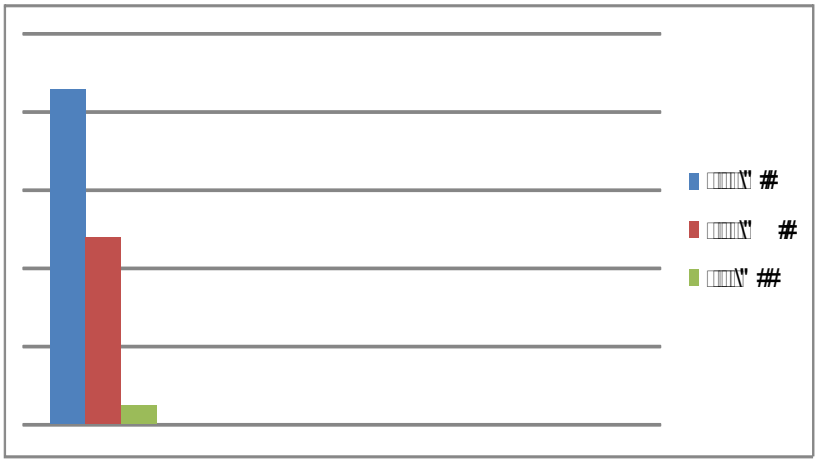

ففي بداية الرواية ظهور سماح كان يشبه ظهور الشخصية الرئيسة، ولكن مع مرور الوقت تقلّص هذا الظهور أو هذا الحضور، ومع نهاية الرواية رأينا كيف انعدمت رؤية سماح، إلا في مواطن تُعد قليلة جدًّا، وكأن الروائية وضعت شخصية سماح؛ لكي تظهر لنا شخصية منى فهي مجرد شخصية فعلت ما أملته عليها الروائية وانتهت عندما انتهت مهمتها أو وظيفتها، وليس من الظلم أن نقول: إن شخصية سماح كانت بمثابة

١- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٩٨م، ص١٣٥.

الخادم الذي يسعى إلى تلميع ظهور سيده في المحافل، فسماح هي التي مهدت لظهور منى أو لوضوح شخصية منى داخل الرواية، هي شخصية مساعدة ومن الممكن أيضًا أن نستغني عن خدماتها تلك في أي وقت وهذا الذي حدث بالفعل.

ولكن المنوط بالدراسة حاليًا هي شخصية "حياء"، فرسمتها الروائية (الشخصية) الطالبة، صديقة منى القديمة التي تمتاز بخفة الظل، والتدين، والطيبة، ولكن قبل أن تكون صديقتها فهي جارتها الوفية التي تسعى دائمًا إلى الخير، وتنصحها بما يمليها عليها دينها والشرع:

خرجنا من عند الطبيبة وكأننا قد ولدنا من جديد وقد سترني الله بستره، أتجهت بي حياء إلى أحد الكافتريات الشاغرة قليلًا واقتربت منى بمقعدها وهي تتنفس وكأنها حُرمت التنفس طويلًا وأمسكت بيدي وهي تميل نحوي تنظر لي بجدية قائلة:

– شوفتي يا منى ربنا سترنا ازاي.. رغم كل التفريط رغم كل شيء ربنا سترنا.. لازم نبدأ من جديد بقى .. أرمي كل إللى فات ورا ظهرك وأنسي كل الناس دول وأبدأى من جديد.. أفتحى صفحة جديدة مع ربك وعاهديه انك مش هتخالى حد حبه في قلبك مهما كان أكتر من اللي خلقك وسترك.. أبدأى مع ناس محترمة أبدأى مع راجل زى أدهم.. صدقيني هينسيكي سامح وكل إللى حصلك معاه[1]

الثقة التي تتحدث بها "حياء" نابعة من الإيمان الكامل بشريعة تدعو إلى الأخلاق الكاملة، أو على الأقل السعي إلى الكمال، وحديثها لا يخل أبدًا من الوعظ والإرشاد، وهذا مما يجعل كلامها من السهل الاقتناع به ولا يخالفه إلا مخالف.

ومن الممكن أن تكون هذه الشخصية تحمل آراء المؤلف، فالشخصية الثانوية ليس معناها أبدًا أن تكون مهمشة، لأنَ المؤلف يرسمها بكثير من العناية التي تساعد على إلقاء رأيه بطريقة تناسب طريقة تفكيره، فمثلًا من المعروف أن شخصية الروائية دينية متحفظة، فرسمت بعض شخصياتها بناءً على تلك الأفكار، وبرغم ذلك دورها التفاعلي في الرواية يكون أقل تأثيرًا من الشخصية الرئيسة، فدور "حياء" تكميلي ومساعد للبطل/الشخصية الرئيسة فهي تظهر في الحوارات والأحداث بين الحين والآخر، فالفرق بين "منى" و"حياء" الأولى تصنع الحدث والثانية تبرزه؛ مُسَاعِدة فقط.

أما من ناحية العلاقات التي تمكنت الروائية من النجاح في إبراز/إيضاح ترابطها في رواية "**اغتصاب ولكن تحت سقف واحد**"، فنجد أنَّ كل الشخصيات –تقريبًا–

١ – دعاء عبد الرحمن: رواية "اكتشفت زوجي في الأتوبيس، ص٦٩

تعيش تحت سقف واحد، فالشخصيات كلها عائلة واحدة دعاهم "إبراهيم" و"حسين" والد يوسف إلى لم الشمل والاجتماع مرة أخرى بعد التفريق، فحسين يدعو أبناء أخيه "علي" للانضمام إلى العائلة مرة أخرى، إلا أنَّهم قابلوا عرضه بالرفض في بادئ الأمر؛ لكن مع تدخل أمهم في الأمر تواعدوا أن ينظروا في الأمر مرة أخرى وقد كان:

هدأ إيهاب قليلًا ثم قال:

– أيوا يا ماما بس حقنا ده محدش هيعترف بيه أبدًا.. يعني هانفضل في نظرهم عالة

قالت بهدوء شديد:

– لا ياحبيبي أنا متأكدة ان عمك أتغير.. ولو مكنش اتغير مكنش جالكم بعد ما قرا الجواب وطلب تعيشوا معاه.. وطالما اتغير يبقى لما تعيشوا معاه ويعرفكم كويس ويحبكم ضميره هيصحى وهيرجعلكم فلوس أبوكم الله يرحمه..

قالت كلمتها الأخيرة وهي تغلفها ببكاء مصطنع مما جعل حنقه يتراجع وهو يسألها:

– أنا نفسي أعرف يا ماما أيه اللي خلاكى تبعتي الجواب ده بعد السنين دى كلها.. ليه فجأة كده عاوزانا نرجعلهم.. مش انتِ اللي كنتى بتنبهى علينا ان محدش منهم يعرف طريقنا واننا نبعد عن أي حاجة اسمهم عليها حتى

قالت ببعض الحماس:

– ده كان زمان يابنى.. اه كنت خايفة عليكم من أذاهم أحسن يطلكوا زي ما طالنى لما كنت عايشة وسطهم.. لكن من فترة كده سمعت انهم رجعوا لربنا وبقوا يعملوا خير كبير وبقيت اسمع عن أعمالهم الخيرية.. قلت يبقى خير اعرفهم طريق ولاد اخوهم يمكن ضميرهم يصحى ويرجعوا مال اليتمه اللي نهبوه زمان... وأهو برضه نبقى خدنا ثواب صلة الرحم

لم يشعر إيهاب بالصدق في حديث والدته ولكنه لم يتجرأ على القول بهذا، نظر إلى أختيه إيمان ومريم التي كانت تتابع الحديث بشغف ثم ألقى سماعة الهاتف إلى إيمان قائلا:

– خدى كلميها

أعادت أحلام عليها نفس الكلام بشجن أكبر حتى قالت إيمان:

– خلاص يا ماما هنستخير ربنا ونرد عليكى[1]

الشخصيات جميعها التي ورد ذكرها في تلك الفقرة/ الحوار أو لم يرد هي شخصيات ثانوية، فـ "أحلام، إيهاب، فرحة، إيمان"، إلا مريم التي تتقاسم الشخصية الرئيسة مع يوسف –كما أوضحنا في السابق–، هذه الشبكة من الشخصيات، لها دورها الخاص الذي لا يقل أهمية عن دور الشخصية الرئيسة، فالشخصية الثانوية هي المكملة والداعمة للحدث، فمن الطبيعي أن كل تلك الشخصيات لها دور فعّال داخل الرواية حتى وإن تنوعت الفاعلية بين الشخصيات المختلفة كالفقرة السابقة، فالشخصيات الثانوية لها حيز كبير داخل الرواية؛ ولكن عندما تكون مُجمعة، وليست بصورة منفردة.

فمثلًا شخصية أحلام؛ زوجة علي الابن الأصغر لجاسر، رسمتها الروائية بطريقة مباشرة، فلا صعوبة في فهم مكنونات شخصيتها، فهي ماكرة وخادعة، أما "إيهاب" وهو ابنها الأكبر يتمتع بقدر عال من الوسامة مثل أبيه علي، ويتمتع أيضًا بشخصية رجولية، أما "إيمان" توأم "إيهاب"، أكسبتها الروائية شخصية مثقفة وحنونة وطيبة ورقيقة ومتواضعة وبالطبع خجولة، كان لها دور فعّال داخل الرواية في أن تتكاتف العائلة مرة أخرى ويعلم الجميع حقيقة "الفلوس" المنهوبة من أبيهم –على حد حديث أحلام–:

– بعد أذن حضرتك ياعمى أنا عاوزة أعرف الحقيقة منكم... أيه اللي حصل زمان خلى أمى تطلق وتهرب بينا وتختفى عنكم وهل فعلا بابا الله يرحمه كان ليه فلوس عندكم ولا لاء؟

تبادلا النظرات مرة أخرى ولكن هذه المرة كانت النظرات لها معنى آخر وساد الصمت لبرهة قطعته إيمان وهي تنظر إليهما وكأنها قد استشعرت الحرج في نظراتهما فقالت:

– وأنا هقبل الحقيقة دي مهما كانت

إبراهيم:

– هو أنتِ يا بنتى أمكوا محكتلكوش على حاجة

إيمان:

– حكتلنا حاجات كتير وكنا مصدقنها لكن لما عشنا معاكوا وشوفناكوا مبقناش متأكدين من أى حاجة

١– دعاء عبد الرحمن: رواية "اغتصاب ولكن تحت سقف واحد"، ص ٤٤.

حسين:

– قالتلكوا ايه يا بنتى

إيمان:

– يا عمى من فضلك أنا لو كنت واثقة إن اللي أعرفه صح مكنتش جيت النهاردة.. أنا زى ما يكون كان بيتحكيلى على ناس تانية غيركوا.. من فضلك يا عمي ريحنى ولعلم حضرتك مريم عارفة أنى جايالكم النهاردة لأن هي كمان عاوزة تعرف الحقيقة ومرضتش أقول لإيهاب لإنى لو قولتله كان هيصمم يجى معايا وأنا عارفة إيهاب حمقى ومش هيستحمل كلمة على ماما وأنا لسة مش عارفة الماضى كان شكله إيه

أومأ إبراهيم برأسه موافقًا لها وقال:

– عين العقل يا بنتى

تنهد حسين تنهيدة قوية وهو يقول:

– أنا كنت عارف مسيركم تسألوا.. وكنت خايف من اللحظة دى

ثم نظر إلى إبراهيم وكأنه يستشيره ماذا يقول وماذا يخفى فقرر إبراهيم أن يرفع عنه الحرج فبدأ بالحديث قائلًا:

– شوفى يابنتى..

قاطعه حسين قائلًا:

– أستنى يا إبراهيم.. قبل أي كلام لازم نبعت نجيب كل الدفاتر والمستندات علشان يبقى الكلام بالدليل[1]

استطاعت الروائية هنا أن تجمع معظم الشخصيات الثانوية في موطن واحد وعلى فقرتين، وحقيقة فعلت هذا في غير مرة في تلك الرواية، فجعلت الشخصية الثانوية تصنع حدثًا وهذا غير غريب، ولكن هنا ما تميزت به الشخصية الرئيسة عن غيرها هي "الحيزية" التي تكلمنا عنها سابقًا.

١– دعاء عبد الرحمن: اغتصاب ولكن تحت سقف واحد، ص١٣٤.

خاتمة:

وبعد الدراسة في هذا البحث نستخلص النتائج الآتية:

١- أهمية الشخصية الروائية تكمن في دورها الفاعل داخل العمل الروائي.

٢- انمازت أغلب الشخصيات في روايتي دعاء عبد الرحمن بكونها ذات طابع نامٍ مشترك.

٣- الشخصية الرئيسة في روايتي دعاء عبد الرحمن هي الشخصية الطاغية.

٤- اتسمت اللغة في الروايتين أنها مزيج بين العامية والفصحى معًا ومع ذلك فهي سهلة الوصول إلى عقل القارئ وقلبه.

٥- اتخذت بعض الشخصيات في الروايتين اتجاهًا رومانسيًا ذات طابع ديني.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا المصادر:

١) دعاء عبد الرحمن: رواية اكتشفت زوجي في الأتوبيس، عصير الكتب،٢٠١١.

٢) دعاء عبد الرحمن: رواية اغتصاب ولكن تحت سقف واحد، عصير الكتب،٢٠١٤.

ثانيًا: المراجع:

١) أندرسون، أنريكي: القصة القصيرة (النظرية والتقنية)، ترجمة علي إبراهيم علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢) بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط١، المركز الثقافي العربي،١٩٩٠م.

٣) زعرب، صبحية عودة: غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

٤) مرتاض، عبد الملك: في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٩٨م.

٥) هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.